

الدكتور إبراهيم أنيس إذ يقول : « ولكن هل من المستطاع أن تحدد تلك الظواهر اللغوية التي اختص بها الشعر ، أو على الأقل تلك التي شاعت في الأشعار ؟ من شاء مثل هذا التحديد فعليه تتبع تلك الظواهر في شعر القدماء والمحدثين وفي كل عصور الأدب ، بعد أن يتحدد له أولاً نظام النثر في كل أساليبه ، وفي كل عصوره أيضا ، ولعل من الباحثين من يضطلع بمثل هذا العمل الضخم في المستقبل »^(١) وأضيف إلى هذا أن تتبع تلك الظواهر في شعر القدماء والمحدثين ، وفي كل عصور الأدب مقارنا بتحديد نظام النثر في كل أساليبه وفي كل عصوره ، لا يستطيع باحث فرد أن يضطلع به ، ولن يتحقق هذا إلا عن طريق تناول الشعراء شاعراً شاعراً ، وتحديد خصائص شعره اللغوية من حيث التراكيب والمفردات ، وجمع الظواهر المتشابهة في العصر الواحد من شعراء الفترة الواحدة ، وملاحظة تطورها وثباتها أو تغيرها من فترة لأخرى ، مع مقارنتها بخصائص النثر المعاصرة لها بجميع مستوياته ؛ حتى يمكن الحكم عليها حكما علميا دقيقا ؛ لأن الأحكام التي تطلق على خصائص الجملة في الشعر ، في معظمها على الصورة الراهنة ، أحكام انطباعية ، لا يدعمها التتبع والاستقصاء ، والإحصاء ، ولهذا يتطرق إليها الاحتمال دائما ، ومن هنا يسقط بها الاستدلال كما يقولون .

إن لدى النقاد شعورا قويا باختلاف الشعر في أنظمتها اللغوية عن النثر^(٢) . ولدى النحويين - كذلك - شعور مماثل . وما اعتراف النحويين قديما ، من لدن سيبويه ، بأن ما يحمل الشعر غير ما يحتمله النثر ، وأنه « يجوز في الشعر ما لا يجوز

(١) الدكتور : إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة : ٣٣١ .

(٢) لم يخرج عن ذلك إلا الشاعر الإنجليزي ووردزورث الذي كتب مقدمة لديوانه : « الأفاضل الشعري الوجدانية » سنة ١٨٠٠ م . ويرى فيها أنه ليس هناك فرق جوهري بين لغة النثر ولغة التأليف الشعري ، ولا ينبغي أن يكون هناك فرق جوهري (ص : ٤٤٠ من النظرية الرومانتيكية في الشعر) . وقد ترجم الدكتور : عبد الحكيم حسان هذه المقدمة وألحقها بكتاب كوليدج « النظرية الرومانتيكية » لأن كوليدج تصدى للرد على آراء ووردزورث في الفصول التسعة الأخيرة من كتابه من الفصل الرابع عشر إلى الثاني والعشرين .